



في رحاب التوراة

دراسات وجوارات روحانية مُعمّقة في النصوص التوراتية الأسبوعية مع
الحاخام جوناثان ساكس

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

Sponsored by The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University



The Original text in English and translations to other languages can be found here:
[Covenant & Conversation](#) | [Ki Tavo](#) | [We Are What We Remember](#) | [The Rabbi Sacks Legacy](#)

"كي تَفُوا" هو النصُّ الأسبوعي السابِع من كِتَاب "دفاريم" (أي سفر التثنية) ويبدأ هذا النصُّ الأسبوعي بالآية الأولى من المقطع السادس والعشرين وينتهي بالآية الثامنة من المقطع التاسع والعشرين.

Arabic Translation by The Connecting Hamza NGO

الدَّائِرَةُ هِيَ الْهُوِيَّةُ

إن أحد الأسباب التي جعلت الدين يظلّ موجوداً وقائماً في العالم الحديث بالرغم من مرور أربعة قرونٍ من العلمانية هو أنه يُجيب على ثلاثة أسئلة يطرحها كل إنسانٍ يتفكّر جيداً في حياته: من أنا؟ ولماذا أنا موجودٌ هنا؟ وكيف يُمكنني أن أعيش؟

في الوقت نفسه فإن المنظومات الأربعة المتمثلة في العلم والتكنولوجيا واقتصاد السوق والدولة الديمقراطية الليبرالية والتي يقوم عليها العالم الغربي المعاصر عاجزةٌ عن الإجابة عن هذه الأسئلة. فالعلم يُبين لنا الكيفية، لكنه لا يُبين لنا لماذا. والتكنولوجيا تمنحنا القوة، لكنها لا تُبين لنا كيف نستخدمها. والسوقُ يمنحنا خيارات عديدة، لكنه لا يُبين لنا ماذا نختار. أما الدولة الديمقراطية الليبرالية فإنها تلتزم بمبدأ الامتناع عن تزكية أي أسلوب حياةٍ على غيره. والمُحصلة النهائية هي أن الثقافة المعاصرة أضحت تضع أمامنا عدداً لا يُحصى من الاحتمالات والخيارات، دون أن تُبين لنا من نحنُ ولماذا نحنُ موجودون هنا وكيف يجب علينا أن نعيش.

إنها أسئلةٌ جوهرية في الحياة، لهذا كان أول سؤال طرحه نبي الله ورسوله موشيه/موسى عندما قابلَ الله عزَّ وجلَّ في معجزة العليقة المُشتعلة هو: "من أنا؟". والسياقُ الظاهرُ لهذه الآية يوحي بأنه سؤالٌ بلاغيٌّ يتضمن هذا المعنى: من أنا لأقوم بهذه المهمة الاستثنائية وأقود الشعبَ إلى الحرية؟ لكن في باطن ذلك نجدُ سؤالاً حقيقياً يتعلق بالهوية، فموشيه نشأ وترعرع على يد الأميرة المصرية ابنة فرعون. وعندما قام موشيه بإنقاذ بنات يثرو/رعوثيل (يثرون) من رُعاة مدين، عادت البناتُ إلى أبيهنّ وأخبرنه بأن "رجلاً مصرياً أنقذنا"، بالتالي كان موشيه يبدو ويتحدّث كرجلٍ مصريّ.

ولاحقاً تزوّج موشيه من زوجته تسيبورا/صفورة إحدى بنات يثرو، فأمضى عقوداً وهو يرعى الغنم كراعٍ مدينيّ. والتسلسل الزمني ليس واضحاً تماماً، لكنه يُبين لنا إلى حدٍ ما بأنه كان شاباً يافعاً عندما ذهبَ إلى أرض مدين، وبأن عمره كان ثمانين عاماً عندما بدأ بقيادة بني إسرائيل، وبأنه أمضى غالبية سنوات بلوغه برفقة حمّاه المديني وهو يعتنى بغنمه. بالتالي عندما سأل الله عزَّ وجلَّ قائلاً: "من أنا؟" (تبعاً للآية الحادية عشرة من المقطع الثالث من سفر الخروج) فإن في باطن هذا السؤال كان يوجد سؤال آخر: هل أنا مصريّ؟ أم مدينيّ؟ أم يهوديّ؟

لقد كان موشيه مصري التربية، وبالنسبة لخبرته وتجربته في الحياة فقد كانت مَدِينِيَّة، لكن القرار الحاسم بخصوص هويته كان يتعلّق بأصله وهوية آبائه وأجداده، فهو ينحدر من نسل أفرهام/إبراهيم، وهو ابن عمّام/عمران ويوخيفيد/يوكابد. وعندما وجّه السؤال الثاني لله عز وجل "مَنْ أَنْتَ؟" أجابه الله قائلاً: "أَكُونُ مَا أَكُونُ" (تبعاً لما تذكره الآية الرابعة عشرة من نفس المقطع ونفس السفر). ثم أسهب بإجابة ثانية تذكرها الآية الخامسة عشرة والتي جاء فيها:

"كَذَا قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ، اللَّهُ إِلَهُ آبَائِكُمْ، إِلَهُ أَفْرَهَامَ، إِلَهُ يِتْسَحَقَ وَإِلَهُ يَعْقُوفَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ، هَذَا اسْمِي إِلَى الدَّهْرِ، وَهُوَذَا ذِكْرِي لِأَجْيَالٍ وَأَجْيَالٍ".

وفي هذا الموضوع أيضاً يوجد أمران أحدهما ظاهرٌ والآخر مُبْطَنٌ، فالمعنى الظاهر للآيات يوحي بأن الله عز وجل يُخبر موشيه بما عليه أن يقول لبني إسرائيل عندما يتساءلون قائلين: "مَنْ بَعَثَكَ إِلَيْنَا؟"، لكن المعنى المُبْطَن في هذا المستوى التوراتي يُخبرنا بطبيعة وماهيّة الهويّة. فالإجابة عن سؤال "مَنْ أَنَا؟" لا تتعلّق بِمَسْقَطِ الرَّأْسِ ولا بالمكان الذي أمضينا فيه طفولتنا ولا بالدولة التي نُعتبر مواطنين فيها. كما أن الإجابة على هذا السؤال لا تستند إلى عملنا ومهنتنا ولا حتى إلى اهتماماتنا وميولنا، فهذه الأمور جميعها تتعلّق بِ "أَيْنَ أَنَا" و "مَا أَنَا" لكنها لا تتعلّق بِ "مَنْ أَنَا".

ومن هذا المُنتَظَر فإن إجابة الله عز وجل - إلهك وإله آبائك وأجدادك - تُبَيِّنُ طَرَحاً جوهرياً للغاية، فأولاً وقبل كل شيء آخر نُجِدُ أن الهويّة تنتقل بالوراثة، أي من خلال الأصل والآباء والأجداد. إنها مسألة تتعلّق بهوية الوالدين وآباء الوالدين وبقية الأسلاف. في المقابل، فإن هذا الطرح لا ينطبق على جميع الحالات، فهناك أبناء بالتبني وهناك أبناءً ينفصلون كلياً وبمحض إرادتهم عن والديهم، لكن يُمكننا القول بأن الهويّة تكمنُ في الحكاية المُستترة للآباء والأجداد بالنسبة لغالبية البشر. وإذا أخذنا بعين الاعتبار حالة التنقّل عبر مُختلف الحُقُب والأزمان التي عاشها اليهود، فإننا سنجد أن حكايتهم كانت دوماً حكاية ترحال وجُرأة وثباتٍ دائمٍ ومعاناة وفرارٍ من المعاناة.

أما المسألة الثانية فهي تكمنُ في أن الأصل نفسه يُخبرنا عن حكاية معينة. إذ أن الله عز وجل بعد أن طلب من موشيه أن يقول لبني إسرائيل بأنّه (أي الله) هو إله أفرهام ويتسحق ويعقوف، نجده يُتابع كلامه لموشيه قائلاً:

"امض واجمع شيوخ بني إسرائيل، وقُلْ لهم، اللهُ إِلَهُ آبَائِكُمْ تجلّى لي، إله أفرهام ويتسحق ويعقوف قائلاً: قد ذكرتكم وما صنّع بكم في مصر. فقللتُ أصعدُكم من عذاب المصريين إلى موضع الكنعانيين والحيثيين والأموريّين والفرزيّين والحوثيين واليبوسيين، إلى بلدٍ يفيضُ لبناً وعسلاً" (بحسب ما تذكره الآيات 16-17 من نفس المقطع ونفس السفر).

بالتالي لم يكن الأمر يقتصرُ على أن الله عز وجل هو إله آبائهم وأجدادهم، بل هو الإله الذي وعدهم بوعده مُحدد: بأن يُخرجهم من العبودية إلى الحرية، من الشّتات إلى أرض الميعاد. لهذا كان بنو إسرائيل جزءاً من حكاية متواصلة ومستمرة عبر الزمن، لقد كانوا جزءاً من حكاية لم تنته بعد، والله عز وجل على وشك كتابة الفصل القادم من فصولها.

أضف إلى هذا كله أن الله عندما أخبر موشيه بأنّه إله آباء بني إسرائيل، فقد أضاف "هذا اسمي إلى الدهر، وهوذا ذِكْرِي (زخري) لأجيالٍ وأجيالٍ". بالتالي وضّح الله لموشيه بأنّه يتخطّى حدود الزمن (هذا اسمي إلى الدهر)، لكن عندما يتعلّق الأمر بالإدراك البشريّ فإن الله عز وجل يتواجدُ في حُضْمِ الزَمَنِ (لأجيالٍ وأجيالٍ)، وأسلوب الله للقيام بهذا يتمثّل في الحفاظ على الذاكرة وتَمْريرها من جيلٍ لآخر (وهوذا ذِكْرِي). لهذا فإن الهويّة ليست مسألة تتعلّق بِمَنْ يكون الوالدان، بل تتعلّق بما يتذكرانه وبالذاكرة التي مَرَّرها إليّ. وإنّ الهويّة الفرديّة تتشكّل عبر الذاكرة الفرديّة، لكن الهويّة الجماعية تتشكّل عبر الذاكرة الجماعية.¹

لقد كان هذا تمهيداً للحديث عن تشريع ديني بارز نصّ عليه آياتُ هذا النصّ الأسبوعي من نصوص التوراة والذي يحمل عنوان "كَي تَقُومُوا". إنه تشريعٌ ينصُّ على ضرورة أن تُقدّم بواكير الثمار كقربانٍ إلى "المقام الذي يختاره الله"، وهو أورشليم القدس. حيثُ كانت تُقدّمُ إلى كبير الكهنة، ثم يقومُ بجليها وهو يتلوما ورد في الآيات 5-10 في المقطع السادس والعشرين من سفر التثنية:

"كان أبي آرامياً رَحَلاً، فنزلَ إلى مصر، وسكن هناك برهطٍ قليل، وصارَ هناك أمة كبيرة عظيمة كثيرة. فأساء لنا المصريون وعذبونا، وجعلوا علينا خدمة صعبة. فصرخنا إلى الله إله آبائنا، وسمع صوتنا، ونظر لضعفنا وشقاقتنا وضغظنا. وأخرجنا الله من مصر بيدٍ شديدة وذراعٍ ممدودة وتخوفٍ عظيمٍ وآيات وبراهين. فجاء بنا إلى هذا الموضع وأعطانا هذا البلد، بلداً يفيضُ اللبن والعسل. والآن هوذا جئتُ بواكلٍ ثمر الأرض التي زرقتني إياها يا ربّ. ثم ضعه بين يدي الله ربّك، واسجد بين يدي الله ربّك".

الذّاكِرَةُ هِيَ الهويّة

لقد تعرّفنا على هذا الدعاء لأنه - على الأقل منذ زمن الهيكل الثاني - كان موجوداً في صميم قصّة الهجده التي تُتلى حول مائدة الطعام أثناء السيدر (السيدر هي سلسلة الطقوس والأدعية والصلوات التي تُتلى ليلة عيد الفصح اليهودي أثناء تناول وجبة الطعام الخاصة بهذه المناسبة). فلنلاحظ هنا بأنّها كانت تُتلى أصلاً على بواكير الثمار التي لا تكون عادة في عيد البيسح (عيد الفصح) بل كانت في العادة تُتلى في عيد الشفوعوت (عيد الأسابيع) الذي يتزامن مع موسم حصاد وقطف الثمار.

وما كان مُميّزاً حقاً في هذا التشريع هو الفكرة التالية: من البديهي أن نتحدث عن الله عزّ وجلّ كإله للطبيعة حينما نحتفل بالأرض وما تُنتجُه من ثمار، لكن هذا النصّ لا يتعلّق أبداً بالطبيعة، إنه يتعلّق بالتاريخ. إنه يتطرّق لرجل من سلّف بعيد (آرامياً رَحالاً)، بالتالي فإن الحكاية تتحدث عن أسلافنا وأبائنا وأجدادنا. إنها حكاية تُفسّر لنا لماذا نحن موجودون هنا، ولماذا القوم الذين أنتمي إليهم بهذه الماهية ولماذا هم موجودون في هذا المكان بالذات. في الحقيقة لم يكن هناك أمرٌ مماثل لهذا في العالم القديم، ولا في عالمنا الحالي. وفي هذا السياق يوضّح المؤرخ يوسف حاييم يروشلمي في كتابه الكلاسيكي القديم "زخور"² (بمعنى تذكّر) بأن اليهود كانوا أول قوم رأوا الله عزّ وجلّ عبر التاريخ، وأول قوم استطاعوا رؤية معنى مُطلقٍ عبر التاريخ، وأول من جعلوا من الذاكرة فريضةً دينيةً.

ولهذا نجد أن الهوية اليهودية أثبتت أنها واحدة من أعند وأصلب الهويات التي عرفتها البشرية: فهي الهوية الوحيدة التي ظلّت مُستمرّة دون انقطاع بالرغم من أن حاملها كانوا أقلية مُفترقة في شتى بقاع العالم لحوالي ألفي سنة. إنها الهوية التي قادت اليهود بنهاية المطاف للعودة إلى وطنهم وبناء دولة إسرائيل، وإحياء اللغة العبرية لغة كتابهم المُقدس (التناخ)* مُجدداً بعد فجوة استمرت لقرون لم تكن تُستخدم فيها هذه اللغة سوى في الصلوات والشعر. وإن ذاكرتنا هي هويتنا، وتشريع بواكير الثمار هو بمثابة تأكيد على أن اليهود لن ينسوا هويتهم أبداً.

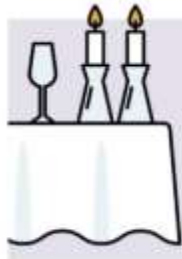
وخلال السنوات القليلة المُصرمة انتشرت في الولايات المتحدة الأمريكية موجةٌ من الكتب التي تتساءل عما إذا كانت القصة الأمريكية تُروى وتُدّرُس للأجيال الناشئة، وما إذا ظلّت هذه الحكاية تُشكّل إطاراً شاملاً لجميع مواطنيها، بحيث تُدرك الأجيال اللاحقة بالحروب التي خاضتها الولايات المتحدة حتى تكون "ولادة جديدة للحرية" على حد تعبير الرئيس الأمريكي أبرهام لنكولن، وهل لا زالت الحريات بحاجة للمزيد من الجهود للحفاظ عليها.³

وإن القارئ لتلك الكتب بإمكانه أن يلاحظ بوضوح حجم المأساة التي يستشعرها مؤلفو هذه الكتب، والذين أكّدوا على الفكرة ذاتها تقريباً بالرغم من أنهم قادمون من خلفيات مُتعدّدة من مُختلف الأطياف السياسية: إن نسيّت حكايتك فستفقد هويتك. بالتالي يوجد شيءٌ مُشابه لمرض الخرف (الزهايمر) على المستوى القومي، وهويتنا تعتمد على ما نتذكره، وفي حالة الغرب المُعاصر فإن الفشل في خلق ذاكرة جماعية يُشكل تهديداً خطيراً على مستقبل الحريات هناك.

لقد روى اليهود حكاية هويتهم بمُنتهى الإخلاص لمدة أطول من أي شعبٍ آخر روى حكايته على وجه الأرض، وهذا ما يجعل الهوية اليهودية ثريّة بمحتواها وصلبة بطبيعتها. وفي هذا الزمن الذي تطورت فيه ذاكرة الحواسيب والهواتف الذكية بهذه السرعة من الكيلوبايت إلى الميغابايت والجيجا بايت، وأصبحت فيه الذاكرة البشرية قصيرة جداً، فإن هنالك رسالة يهودية هامة: لا يمكننا أن نُفوّض مهمة ذاكرتنا إلى الآلات، بل يجب علينا أن نُحدّث ذاكرتنا باستمرار حتى نُعلمها ونُمرّرها إلى الجيل القادم. وفي هذا السياق يقول ونستون تشرشل: "كلما ازداد بُعدُ نظرك في رؤية الماضي، كلما ازداد بُعدُ نظرك في رؤية القادم".⁴ أو بعبارةٍ أخرى مختلفة قليلاً: من يُحدّثون أبناءهم عن حكاية الماضي، هم الذين يبدؤون فعلاً في بناء المُستقبل لأبنائهم.

*ملاحظة توضيحية من المترجم: التناخ هي كلمة تختصر الحروف الثلاثة الأولى من كلمات "توراة، نفيّيم، كتوفيم" (أي التوراة والأنبياء والكتابات)، ويُقصد بكلمة تناخ الكتاب اليهودي المقدس الذي يضم أسفار التوراة الخمسة (سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية)، بالإضافة إلى أسفار الأنبياء (وهي ثمانية أسفار: سفر يوشع، وسفر القضاة وسفر صموئيل الأول والثاني وسفر الملوك الأول والثاني وسفر إشعياء وسفر إرميا وسفر حزقيال، وسفر اثني عشر الأنبياء الاثني عشر الأواخر. ويُضاف لها أسفار الكتابات، والتي تضم الهاغويوغرافيا، أي كُتب السيرة الخاصة بالكهنة وكبار الحاخامات والشخصيات العظيمة في الديانة اليهودية، والتي تضم أحد عشر كتاباً، وهي سفر المزامير، وسفر الأمثال، وسفر أيوب، وسفر روث (راعوث)، وسفر نشيد الإنشاد، وسفر الجامعة، وسفر مراثي إرميا، وسفر أستير، وسفر دانيال، وسفر عزرا ونحميا، والجزء الأخير من التناخ يضم أسفار تدوين التاريخ. بالتالي يضم التناخ بين ثنياه أربعة وعشرين سفرًا (كتاباً).

-
1. The classic works on group memory and identity are Maurice Halbwachs, *On Collective Memory* (Chicago: University of Chicago Press, 1992), and Jacques le Goff, *History and Memory* (New York: Columbia University Press, 1992).
 2. Yosef Hayim Yerushalmi, *Zakhor: Jewish History and Jewish Memory* (Seattle: University of Washington Press, 1982). See also Lionel Kochan, *The Jew and His History* (London: Macmillan, 1977).
 3. Among the most important of these are Charles Murray, *Coming Apart* (New York: Crown, 2013); Robert Putnam, *Our Kids* (New York: Simon and Schuster, 2015); Os Guinness, *A Free People's Suicide* (Downer's Grove, Illinois: IVP, 2012); Eric Metaxas, *If You Can Keep It* (New York: Viking, 2016); and Yuval Levin, *The Fractured Republic* (New York: Basic Books, 2016).
 4. Chris Wrigley, *Winston Churchill: A Biographical Companion* (Santa Barbara, Calif.: ABC-Clio, LLC, 2002), xxiv.
-



حَوْلَ مَائِدَةِ يَوْمِ السَّبْتِ الْمُقَدَّسِ: أَسْئَلَةٌ لِلتَّأَمُّلِ

- 1- أين تكمن أهمية سرد الحكاية؟
- 2- كيف تعرفت على الحكاية اليهودية؟ ومن أخبرك بها؟
- 3- ما هي الطرق التي تحرص التوراة من خلالها على ضمان عدم نسيان الحكاية اليهودية؟

- These questions come from this week's Family Edition to Rabbi Sacks' Covenant & Conversation. For an interactive, multi-generational study, check out the full <https://www.rabbisacks.org/covenant-conversation-family-edition/ki-tavo/we-are-what-we-remember/>

Arabic Translation by *The Connecting Hamza* NGO

Sponsored by *The Sir Naim Dangoor Centre for Universal Monotheism, Bar Ilan University*

